إخماد سريع لا يعالج موسم الخطر.. الحماية المدنية الجزائرية تواجه 72 حريقًا في 6 ولايات

الأربعاء 26 أغسطس 2026 03:30 م

أعلنت المديرية العامة للحماية المدنية في الجزائر تسجيل 72 حريقًا في 6 ولايات خلال 24 ساعة، أُخمد منها 64 حريقًا حتى صباح الأربعاء، فيما بقيت ثمانية حرائق قيد التدخل، لتضع البلاد مجددًا أمام اختبار موسم حرائق لا يبدو عابرًا.

ولا تختزل الأزمة في أرقام الحرائق أو سرعة الإخماد؛ فخلف كل حريق عائلة مهددة بالإجلاء، ومزارع يخشى على محصوله، وسكان يعيشون تحت ضغط الدخان والحرارة والخوف من اتساع النيران.

وشملت الحرائق الغطاء النباتي والمحاصيل الزراعية وواحات النخيل وأحزمة التبن، ما يعني أن الخسائر المحتملة لا تمس الغابات وحدها، بل مصادر رزق وموارد معيشية محلية.

وتوزعت الحرائق بين ولايات الطارف وجيجل وباتنة وتبسة وقسنطينة وسطيف، في اتساع جغرافي يفرض التعامل مع الظاهرة باعتبارها خطرًا وطنيًا متكررًا لا حوادث محلية منفصلة.

وفي جيجل، استمر حريقان في بلديتي أولاد يحيى خدروش والشقفة، مع إجلاء عائلات احترازيًا من المناطق القريبة، بينما تواصلت عمليات الإخماد ميدانيًا.

وتفيد الحصيلة الرسمية بأن بعض الحرائق كانت في تراجع ولم تكن تشكل خطرًا مباشرًا وقت صدور البيان، لكن تراجع النيران لا يعني انتهاء الخطر في ظل الرياح والحرارة وجفاف الغطاء النباتي.

إخماد سريع وأسئلة الوقاية الغائبة

يُحسب للحماية المدنية تمكنها من إخماد غالبية الحرائق المسجلة خلال ساعات، لكن النجاح في إطفاء النار بعد اشتعالها لا يجيب عن سؤال الوقاية قبل أن تتحول الأعشاب والأحراش إلى وقود جاهز.

فالرقم المرتفع خلال يوم واحد يشير إلى ضغط استثنائي على فرق التدخل، ويكشف أن منظومة التعامل لا تزال تُختبر أمام اندلاع حرائق متزامنة في مناطق متباعدة.

وحذّر الديوان الوطني للأرصاد الجوية من موجة حر قد تصل فيها الحرارة إلى 49 درجة في بعض الولايات، وهي أجواء ترفع احتمال الاشتعال وتسرّع انتشار اللهب عند هبوب الرياح.

ويرى الدكتور عبد القادر جيجلي، أستاذ الإنتاج النباتي، أن حماية الغابات لا يجب أن تظل رهينة التدخل بعد الكارثة، بل تحتاج إلى رؤية استباقية تشمل اختيار أنواع نباتية أكثر مقاومة للجفاف والحرائق.

ودعا جيجلي، في حديث للإذاعة الجزائرية أواخر يوليو 2026، إلى توظيف الطائرات المسيّرة والأقمار الصناعية والكاميرات الحرارية في الإنذار المبكر، مع إشراك السكان المحليين في الوقاية.

وهذا الطرح يضع فجوة واضحة بين امتلاك وسائل الإخماد وبين بناء منظومة تمنع توسع الحريق منذ شرارته الأولى.

كما أن فتح المسالك الغابية، وتنظيف الأحراش، وصيانة نقاط المياه، ومراقبة المناطق المجاورة للغابات، إجراءات أقل كلفة من مواجهة حريق بعد أن يهدد المنازل والمحاصيل.

وتحتاج السلطات إلى إعلان نتائج الوقاية بصورة دورية: كم منطقة جرى تأمينها؟ وكم بؤرة خطر رُصدت مبكرًا؟ وكم حريقًا جرى منعه قبل أن يتحول إلى كارثة؟

العائلات بين الإجلاء والقلق اليومي

لا يقدم الإجلاء الاحترازي نفسه بوصفه خسارة في الحصيلة الرسمية، لكنه يكشف حجم القلق الذي تعيشه العائلات حين تقترب النيران من بيوتها ومزارعها.

فالعائلة التي تغادر منزلها لا تعرف إن كانت ستعود إلى أرض سليمة، أو إلى محصول احترق، أو إلى أشجار مثمرة احتاجت سنوات كي تنمو.

وفي المناطق الريفية، لا يكون الحريق تهديدًا بيئيًا مجردًا؛ بل قد يعني فقدان مصدر دخل موسمي أو ضررًا في الثروة الحيوانية أو انقطاعًا مؤقتًا عن طرق وخدمات أساسية.

وتزداد حساسية الخسارة حين تمتد النيران إلى واحات النخيل، لأن النخلة ليست محصولًا سريع التعويض، بل مورد إنتاجي يحتاج أعوامًا ليستعيد قدرته.

وتبرز أبحاث الدكتور أيوب علام، الباحث في علم البيئة والبيئة بالجزائر، أن الحرائق تترك آثارًا على خصائص التربة الغابية، ما يعني أن نهاية اللهب لا تعني بالضرورة نهاية الضرر.

وتتطلب مرحلة ما بعد الإخماد تقييمًا علنيًا للخسائر في المحاصيل والأشجار والتربة، بدل الاكتفاء بإعلان السيطرة على الحريق باعتباره نهاية القصة.

وكانت الجزائر قد سجلت منذ بداية موجة الحر في يوليو آلاف الحرائق، بينها حرائق غابات وأدغال ومحاصيل وأشجار مثمرة، ما يضع الحريق الحالي في سياق موسم شديد القسوة لا واقعة منفردة.

ولا يكفي الوعد بالتعويض بعد الكارثة إذا لم تكن آلياته واضحة وسريعة، لأن المزارع أو الأسرة المتضررة يحتاجان إلى حماية دخلهم فورًا لا بعد انتهاء موسم الحرائق.

وتبقى الأولوية لحماية الناس أولًا، لكن حماية معيشتهم بعد الإجلاء والإخماد جزء لا ينفصل عن أي استجابة عادلة للكوارث.

حرائق الصيف تختبر دولة الاستباق

تؤكد الحرائق المتكررة أن صيف الجزائر لم يعد موسمًا عاديًا يمكن التعامل معه بالاستنفار المؤقت، بل مرحلة مناخية تفرض خططًا دائمة وقدرات متجددة.

فالجفاف والحرارة والرياح لا تشعل النار وحدها، لكنها تخلق البيئة التي تجعل أي شرارة أو إهمال أو فعل متعمد أكثر تدميرًا.

ويشرح البروفيسور ستيفان دور، مدير مركز أبحاث حرائق الغابات بجامعة سوانزي، أن انخفاض الرطوبة والجفاف والرياح القوية عوامل مركزية في انتشار حرائق الغابات وشدتها.

ولا يعني ذلك أن التغير المناخي يفسر كل حريق بعينه، لكنه يرفع كلفة الخطأ ويجعل الوقاية المبكرة أكثر أهمية من أي وقت مضى.

وتحتاج الجزائر إلى نشر خرائط علنية للمناطق الأعلى خطورة، وتنبيهات محلية واضحة للسكان، وخطط إجلاء جاهزة قبل وصول النيران إلى القرى والمزارع.

كما أن نجاح الإخماد يجب ألا يحجب الحاجة إلى التحقيق في أسباب الحرائق، خاصة حين تتكرر في مناطق معروفة بحساسيتها خلال موجات الحر.

والسؤال الحقيقي ليس كم حريقًا أُخمد اليوم، بل كم حريقًا يمكن منعه غدًا قبل أن يفرض على عائلات جديدة مغادرة بيوتها، وعلى الدولة فتح دفاتر التعويضات بعد فوات الأوان.